ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Iraqi Identity in the Poetry of Abdul wahab Al- Bayti

Ibrahim Alwan Yassan Abbas

Saladin Directorate of Education

* *Corresponding author: E-mail* : Ibrahim.alwan69@gmail.com

Keywords:
Iraqi identity
manifestation of identity
alienation
Sufism
symbolic significance

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	3 Mar 2026
Received in revised form	20 Apr 2026
Accepted	27 Apr 2026
Final Proofreading	30 Oct 2026
Available online	31 Oct 2026

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

Abdul Wahhab Al-Bayati was an Iraqi poet born in 1926, during a period fraught with painful events in Iraq's history. He graduated from the Higher Teachers' Training College in 1950 and worked as a teacher. In the same year, he published his first poetry collection, *Angels and Demons* (*Mala'ikah wa Shayatin*), which was followed by a prolific sequence of literary works.

Al-Bayati is considered one of the prominent poets who actively engaged in political life, an involvement that ultimately led to his long exile outside Iraq, where he endured the pain of alienation and displacement.

The era in which the poet lived witnessed diverse political currents and conflicts, making the issue of identity and belonging a paramount concern of that historical period. Examining art and literature from this period is essential to consolidating and safeguarding national identity against erosion, particularly amid the multi-faceted political struggles that Iraq faced, which threatened the identity of both the homeland and its people.

In his poems, Al-Bayati embodied the manifestations of Iraqi and Arab national identity to protect it from oblivion amidst the turbulent events that swept Iraq and the Arab world. His central concern remained how to preserve this identity as the fundamental symbol of the nation and its existence.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.33.10.2.2026.02

الهوية العراقية عند الشاعر عبد الوهاب البياتي

ابراهيم علوان ياسين عباس/ المديرية العامة للتربية في محافظة صلاح الدين

الخلاصة:

عبد الوهاب البياتي شاعر عراقي ولد في عام "١٩٢٦م, في عام كانت مليئة بالأحداث المؤلمة في تاريخ العراق . تخرج من دار المعلمين عام ١٩٥٠م وعمل مدرساً. صدر له أول ديوان ملائكة وشياطين عام ١٩٥٠م, ثم توالت أعماله.

عبد الوهاب البياتي واحد من الشعراء الذين شاركوا في الحياة السياسية في العراق والتي كانت سبباً في نفيه خارج العراق لفترة طويلة عاش فيها ألم الغربة. إن الفترة التي عاشها الشاعر كانت تمر بتيارات

سياسية شتى, فكانت قضية الهوية والانتماء هي القضية الأكثر طرقاً في هذه الفترة التاريخية. وهذه الفترة الزمنية بحاجة إلى تناول الفن الذي يؤكد هويتنا حتى لا تضيع ملامح هذه الهوية من بلدي العراق الذي تتجاذبه قوى متعددة الأطراف, نخشى أن تضيع هوية الوطن وتضيع هوية شعبه.

وقد تناول البياتي في قصائه تجلّي الهوية الوطنية العراقية, وذلك للحفاظ عليها من الضياع بسبب الأحداث التي عصفت في العراق والأمة العربية. وكان همه الوحيد هو كيف نحافظ على هويتنا العراقية والعربية والتي تمثل رمز الوطن.

الكلمات المفتاحية: الهوية العراقية, تجلي الهوية, الغربة, الصوفية, الدلالة الرمزية.

- **خطة البحث: تتكون مما يلي:**

❖ **ا لمقدمة: تتكون من:**

- **ال منهج المتبع للبحث:**
- **أسباب اختيار البحث:**
- **الدراسات السابقة:**
- **حياة ال شاعر ونشأته:**

❖ **الموضوع: الهوية العراقية عند عبد الوهاب البياتي: ويتكون من:**

- **الهوية ال وطنية ومفهومها في العراق.**
- **تجليات الهوية الوطنية عند الشاعر عبد الوهاب البياتي.**
- **الهوية الوطنية عند البياتي.**
- **مرحلة الغربتين عند عبد الوهاب البياتي.**
- **الصوفية في شعر البياتي.**
- **الدلالة الرمزية والروحية للمرأة عند البياتي.**
- **الخاتمة:**
- **المصادر والمراجع:**

- **المنهج المتبع في الدراسة:**

يعتمد هذه البحث على المنهج الوصفي الذي يقوم على تحديد الظاهرة والفترة الزمنية لدراسة الهوية العراقية واهتمام الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي فيها.

- **أسباب اختيار البحث:**

تكمن أسباب اختيار هذا الموضوع للدراسة في:

إنَّ الشاعر عبد الوهاب البياتي واحد من الشعراء الذين شاركوا في الحياة السياسية في العراق بشكل مباشر وكان رجلاً فعالاً في تدخله في السياسة العراقية وهذا كان سبباً في نفيه خارج العراق لفترة طويلة, عاش فيها مرارة الغربة. وكانت هذه الفترة التاريخية تمرُ بتيارات سياسية متسارعة وخصوصاً قضية الهوية والانتماء, وهي القضية التي كانت الاكثر بروزاً خلال هذه الفترة, وهذه المدة الزمنية بحاجة الى بحث مثل هكذا موضوع خوفاً من ضياع هويتنا واخفاء ملامحها التي تحاول دول عدة طمسها واضعافها, وخصوصاً بعد احتلال العراق من الاحتلال الامريكي ودول الغرب.

- **الدراسات السابقة:**

١) دراسة تجليات الهوية في شعر بدر شاكر السياب، للباحث العراقي تكليف صبار تومان، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر، ٢٠١٥م.

دراسة موضوعية عن تجليات الهوية في شعر السياب وابرازها واظهارها , وذلك للحفاظ على معالمها , وخوفها من الضياع في ظل الاحداث, والتغير الديمغرافي, في البلدان العربية, وهي جزء مشابه لما عرضته في اطروحتي.

٢) تجليات الهوية في شعر هاشم الرفاعي، للباحث كمال محمد نصر الدين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر.

وهي ايضاً دراسة موضوعية, استعرض فيها الطالب تجلي الهوية في شعر الرفاعي, وابرازها, والهدف منها الحفاظ على اسم هوية العربي, وابرازها امام العالم وخصوصاً في المحافل الدولية, في المهرجانات, والبطولات العالمية . مثل : كأس العالم وغيرها.

- **حياة الشاعر ونشأته:**

عبد الوهاب البياتي من مواليد ١٩٢٦م، وعاش مرحلة من مراحل غنية بالأحداث المثيرة في تاريخ تأسيس الدولة العراقية الحديثة. وقد عاصر العالم من خلال الحي الذي عاش فيه بالقرب من مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد، الذي يتصل به السيد عبد الرحمن الكيلاني رئيس أول وزارة عراقية

بصلة النسب.((وكذلك السيد رشيد عالي الكيلاني قائد حركة مايس ١٩٤١م)). (جاسم , ١٩٩٠م , ص٢٣ - ٢٧). ((وفي أواخر حياته اشتدت صوفية البياتي، وعمل علاقة روحية مع المتصوفين، وكان يزور مراقدهم، وقرأ أعمالهم، وحاول أن يعيش بعض من تجاربهم، وكان الأقرب إليه: جلال الدين الرومي، والسّهروردي، وعبد القادر الكيلاني)). (محميه ، ٢٠٠٩م، ص٦٦).

- **حياته العلمية:**

- تخرج من دار المعلمين عام ١٩٥٠م، وعمل مدرساً ثانوياً, صدر ديوانه الأول، " ملائكة وشياطين" عام ١٩٥٠م ثم توالت أعماله بعد ذلك.

- فصل من عمله في مجلة الثقافة الجديدة، واعتقل عام "١٩٥٤م " ثم ترك العراق إلى سوريا فلبنان فمصر.

- في عام ١٩٥٤م: صدر له ديوانه" أباريق مهشمة" في طبعته الأولى ببغداد.

- في عام ١٩٥٠- ١٩٥٣م: اشتغل مدرساً في المدارس الثانوية.

- في عام ١٩٥٨م زار النمسا لتمثيل البلاد العربية في مؤتمر الكتاب والفنانين العالمي الذي عقد في فينا بدعوة من مجلس السَّلام العالمي.

- زار الاتحاد السوفياتي قبل الثورة العراقية بدعوة من اتحاد الكتاب السوفيات.

- التقى بالشاعر التركي ناظم حكمت وتوثقت علاقاتهما.

- عاد إلى العراق بعد قيام ثورة تموز ١٩٥٨م، وأسندت إليه مهمة مدير التأليف والترجمة والنشر في وزارة المعارف العراقية. (قيسمومة ، ١٩٩٧م , ص٤).

- توفي الشاعر عبد الوهاب البياتي يوم ٣/ ٨/ ١٩٩٩م ودفن بدمشق حيث أراد بجوار شيخه محي الدين بن عربي، ودفن، وبقيت أثاره وأشعاره وأسمه محفوظ لدى الأدباء العرب الى يومنا هذا.(قيسمومة ، ١٩٩٧م، ص٧١).

- **الهوية الوطنية ومفهومها في العراق:**

الهوية الوطنية العراقية ومفهومها, غايته بلورة توازن وانسجام بين الانتماء الوطني للإنسان العراقي, وانتمائه الفرعي " الحزبي, والديني, والمذهبي, والقومي, والمناطقي" أي تقديم الحقيقة البديهية التي آمنت بها شعوب العالم, لكي تخلق وطنها المستقر. فالهوية العراقية: تتميز عن بقية الهويات الأخرى كونها تستند إلى وجود تاريخ بلاد الرافدين , أي بلاد ما بين النهرين, كما ان العراقيين كانوا مميزين في زمن الدولة العباسية, والاموية,, كما تستند الهوية العراقية إلى التاريخ الحديث, الذي بدأ مع تكوين الدولة العراقية منذ عام ١٩٢١, وهو التاريخ الذي استمر إلى يومنا هذا, بالرغم من تفكك الدولة العراقية من عام ٢٠٠٣ م وانهيارها الشامل نتيجة للغزو الامريكي للبلاد. فالهوية, تكون احد الركائز المهمة والمحورية ,

في مشروع الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي, فهو "احد شعراء شعر التفعيلة والرواد" فالشاعر لم تكون الهوية عنده انتماء جغرافي او طائفي ضيق فقط , بل تكون قد شكلت صياغة مركبة تتقاطع فيها الذات بالجامع القومي, والانساني. فقد تجلت الهوية عند الشاعر " عبد الوهاب البياتي" عدة محاور أساسية منها: الهوية الوطنية, والسياسية " الغربة والمنفى", فقد ارتبطت هوية الشاعر البياتي بقوة ببلده العراق, وهذا الانتماء صيغ من خلال تجربة, الهجرة والنفي؛ فقد عاش معظم عمره خارج بلده العراق. ولقد أخذ وطنه العراق في قصائده, رمز للعدالة والحرية والبحث عن الذات المفقود, وقد صدح صوت الشاعر البياتي بالمقاومة, التي تتماهى هويته مع قضايا الشعوب المظلومة, حيث يشعر بانه صوت للشعوب والفقراء والمساكين, في مواجهة السلطة الظالمة والدكتاتورية. وقد توسعت هوية الشاعر "عبد الوهاب البياتي" الوطنية لتستوعب الفضاء العربي العام, متأثراً بالقومية العربية والمحطات المصيرية للأمة العربية, كقضية فلسطين, التي شكلت له جرحاً, عميقاً, ومكوناً, رئيسياً في معالم هوية الشاعر الشعرية, حيث جسد نكبة حزيران عام" ١٩٤٨" ونكسة "١٩٦٧" ازمة هوية ووجود للأمة العربية بأكملها. وكذلك شكلت " عند البياتي " الهوية الصوفية والرمزية" القناع والتصوف" التي تجلت لديه أبعاد روحية وفلسفية كبيرة, واستخدام تقنية " القناع" ليعبر فيها عن نفسه, من خلال شخصيات تاريخية وصوفية. واستخدم البياتي شخصيات كالحلاج, والمعري, وابن عربي, ليعكس هويته كشاعر, متمرد, ومعذب, يبحث عن الحقيقة ويواجه الظلم. والبياتي لم ينحصر في الاطر الوطنية والقومية فقط, بل امتدت هويته الى هوية انسانية واجتماعية, فالشاعر انفتح على الثقافات العالمية, والرموز الاسطورية, الغربية منها, والشرقية, مثل" أسطورة سيزيف وشيركاش" مؤكداً على شقاء الإنسان المعاصر وأمله في الانعتاق بغض النضر عن مكانه وبيئته.

- **تجليات الهوية الوطنية عند الشاعر عبد الوهاب البياتي:**

يشعرنا البياتي بالانفتاحات اللذيذة الهادئة أو الحلوة الصاخبة للتجلي. ((فكل الكائنات الرائعة، والعجيبة, والمثيرة هي من تجليات الطبيعة، والأرض ـ الوطن ـ الأم. وهي تجليات تظهر فيها الولادات مثل درجات السلّم في ملايين السلالم المتحركة، درجة فوق درجة، تتراتب بالنشأة الجديدة، وبالصور الجديدة وبالتفوّهات الأولى، وحين تولد صور تكبر صورٌ أخرى وتموت، لكن حكمة التجلي تحول الموت الى حياة، والصمت الى كلام)) (جاسم , ١٩٩٠م, ص٢٦٨).

والطبيعة المتجلي الأول والأكبر، علَّمت أبناءها وبناتها ثراء التجلي. فهم يعيشون بالحب الدائم، والعطاء الدائم، في بوتقة الوحدة الكونية المدهشة.

قال البياتي في (التجلي المقدس):

((للوطن المدهوش في زوبعة الأوراقْ

للوطن المسكون بالعشاق

للوطن الضارب بالجذور في الأعماق
لشاعرٍ تحوم حول وجهه المُضاء
فراشةٌ بيضاء
لكتب الأسفار
والليل والنهار
تَطَلَّعَ الحلاّج
مفترشاً " دجلةَ" " في الخريف" والقباب والأبراج
وخبأَ الرأس الذي أُحرِقَ بعد الصلب في الأمواج)) . (البياتي, ١٩٩٥,ص٤٩٦) .

ها هنا رأس أُحرق ولم يمت، ها هنا دم أُحرق ولم يغادر الروح.. هنا الحلاج يتناغم مع طباع دجلة والضوء والكتاب، حيث الخلود سيد الخلاصات، حيث التجلي دليل الخلود وبرهانه وأمثلته.

- **الهوية العراقية عند البياتي:**

إن اهتمام البياتي بهويته العراقية الوطنية والتركيز حول القضية الوطنية، ما هو الا دليل ثابت لحبه لبلده ولوطنه، فالوطن: هو الأصل والأساس والمحور الذي تتصل به وتتماسك حوله كافة القضايا الثورية والانسانية.

ولم يستطيع الشاعر الاهتمام بالقضايا الاجتماعية إلا في إطارها الوطني، كما لم يستطع ادراك القضايا الانسانية والتعامل مع أحداث العالم إلا من خلال احساسه الوطني، فالوطن هو البيت المقدس، والنافذة ـ الشمس. وجاءت قصائد ودواوين عبد الوهاب البياتي محملة بدعوات الكرامة الوطنية، والدعوة من أجل حرية الوطن واستقلاله، تلك الدعوة التي كانت مقتنعاً فيه مثل سواه من المناضلين الذين ارادوا أن يكون العراق حراً مستقلاً متقدماً، يهب الحرية والسلام لشعبه، ويقطع دابر المستعمرين والعملاء.

إن القضية الوطنية تتغلغل في شعر البياتي، قصائد وسطوراً، وكلمات فهي نسيج شعره، ومادته، ومبتدئه. فالوطن قضيته الاولى، ومركز التزامه. وحين يعمد الشاعر الى اختيار تعريف محدد للوطن من بين تعاريف عديدة، فانه يختار التعريف للوطن، الحر، القوي، الخالد، مرتع الحق والعدالة والحب. إن حدود هذا الوطن العزيز ليست وصفية في الشعر، بل هي حدود رمزية توحي بكل ما تعنيه الحياة من تجليات متزايدة العذوبة، متزايدة القوة.

فيقول البياتي في قصيدته عن (الوطن):

((الوطن الممتد كالقوس من القلب الى القيثار
الوطن الممتد كالسيف من النهر الى الصحراء
يرهص بالشارات والأصوات
بخضرة الربيع في عينيك، بالمخاض

الوطن ـ المنفى: من الأعماق

متوجاً يصعد بالشمس وبالأسطورة

الوطن ـ الطفولة)). (جاسم, ١٩٩٥, ص٣٠٨) .

وفي هذا الوطن: وطن الحضارات, والحرية, وطن, الشعراء والادباء, والعلماء, وطن, الفن, والشعر, والإرادة, والعزيمة، تحتل بغداد مكانة عالمية وعالية فهي في قلب القداسة الوطنية تتساقط دونها ـ عبر التاريخ ـ كل أمثلة العداوة. لقد تعرضت بغداد للهجمات، وللاحتلال, والتدمير، مرات عديدة، في الأزمنة السابقة, غير انَّ المحتلين ذهبت بهم اللعنة الى مصيرهم ، ذهب هولاكو، وبوش، وبلير, وعملائهم، وظلت بغداد زاهية شامخة بشعرائها وأدباءها الوطنين، صافية كضوء الشمس.

لقد تكفلت بغداد، (الحضارة والتاريخ) بهزيمة المحتلين وشطب ذكراهم. وظل أمر يؤلم بغداد ويوجعها، الذي جعل الشاعر يطلق من قلبه آهة جريحة، فأنشد

يقـــــول:

((آه يا وطني

ويا طفلاً تمزّقه الحراب

يا زورقاً يهتز في ريح المغيب

ويا مناديل الغياب)). (البياتي، ١٩٩٥، ص١١٦) .

ولم تحجب هذه الآهة عن رؤياه (ورؤيته) في حتمية انتصار بغداد وإشرافها.

((إني أرى عبر المذابح والخراب

قاع البحيرة والسنابل والربيع على الهضاب

وأرى الذئاب على طريق الشمس تفترس الذئاب

وأرى المسوخ يذيبها الفجرُ العظيم

أرى قناديل الشباب

وأراك يا بغداد شامخة القباب

وأراك يا قمر الطفولة مشرقاً في كل باب)) . (البياتي، ١٩٩٥ص١١٦).

- **مرحلة الغربتين عند عبد الوهاب البياتي:**

لقد عاشَ الشاعر عبد الوهاب البياتي مرحلتين من الغربة، ولاقى ما لاقاه احد من هم وحزنً وقساوة, خلال هذه المرحلتين والرحيل عن وطنه الذي هو هويته ومأواه الاصلي، التي يأس من حصولها، ومع كل هذه الاحزان, الا أن كان أمله وشعوره الكبير لابد من يوم ما أن يعود إلى وطنه العراق.

وقد ورد هذا المصطلح في شعر البياتي في مرحلة دقيقة من مراحل معاناته، ويثير عدة تساؤلات ماهي الغربة الأولى، وما هي الغربة الثانية؟

يرد المصطلح بتعبير آخر هو(المنفيان) وهو يعادل مصطلح الغربتين، ويتساوى معها في المعنى المتزامن. وان ما ذكره البياتي في تجربته، كانت غربته وليدة النفي المركَّب: الأول وهو النفي الوجودي، والثاني, والثالث, هما: النفي الوطني, والنفي الطبقي، ويندمجان في نفي واحد، من حيث الإطار العام. وقد تناول شرح البياتي. (البياتي، ١٩٩٥, ص١١٧). قائلاً:

كذلك كان الشعور القديم لدى الانسان إنما يشبه قطرة المطر الوحيدة المنفردة تلقى مصيرها على الأرض دون مساعدة احد، كذلك الانسان الذي تُرك وحيداً عاجزاً ليواجه محنة وجوده. وربما كان هذا هو نفس المفهوم الوجودي للنفي. وهناك المفهوم الثاني للنفي, بمعناه: الطبقي وصاحبه الانسان الفقير الذي تُرك, جائعاً, محروماً, عاريا, ليواجه هذا المستوى من الحياة.

وكان هناك النفي ,الثالث: بمعنى نفي وابعاد الانسان عن الأرض التي وُلدَ وعاش عليها وفقدان هويته وجذورها التي يعتز بها، ((كل هذه المعاني الثلاثة للنفي والغربة موجودة في أشعاري وقصائدي, فقد شعرت منذ البداية بغربة الانسان في العالم، ثم اكتشفت غربة الفقر ومعناه، ثم كان عليَّ أن أمر بتجربة الإبعاد نفسها لسنوات طوال ومعاناة أبعادها الثلاثة معاً)). (جاسم, ١٩٩٠, ص٨٧).

فالمقصود بالغربتين في شعر البياتي، غربة المنفى والغربة الوجودية، فالغربة الأولى: وهي تتعلق بالنفي الى خارج الوطن, واشتداد معاناة الشاعر وعذاباته مع اشتداد أمله بالعودة الى الوطن، أما الثانية: فهي الغربة التي تتصل بانطفاءات الحياة وتساؤلات الشاعر عن الموت، تلك التساؤلات التي عالجها بحديثه عن البعث والنشور.

قال الشاعر:

((تعرّت الأشجار

وسقطت أوراقها وكنستها الريح

ونحن في المنفى غريبا غربتين نرتدي الأكفان

نبحث في المعنى وفي سفر الخروج لم نجد بوابة البستان)).(البياتي، ١٩٩٥ص٢٤٦).

وتتخذ الغربتان صورة النفي، وصورة الفوضى معاً، فالنفي لا يجد فرصة التكييف المجدي، فالخيام منهوبة، والغزلان مذعورة، ولا يستطيع العالم تفسير لذلك.

فيقـــــــول:

((كانت خيام الحب في الصحراء

منهوبة والبدوي حولها يداعب الرباب

وكانت الغزلان

مذعورة تبحث في مصيدة الموت عن الغدران

قالت وكنا نبرح" اللوفر" مأخوذين

غريب غربتين

أنتَ فّخذني نحلةً عطشى وَضُم هذه النحلة في الما بين

بكيت فالربيع في باريس

يُولد مرتين..

في شكل امرأة

ترهص بالبراعم الخضراء والضياء والمطر

تضحك هازئة)) . (البياتي , ١٩٩٥، ص٢٤٦).

كان الشاعر يوجعه الحزن والأسى، فهو وحبيبته مطاردان، ملعونان.

فيقـــول:

((كنا حبيبين طريدينِ وملعونَين

ما بين نارين وعالمين

نكابد الغربة في الما بين)). (البياتي , ١٩٩٥، ص٢٤٦).

إن النفي السياسي رافقته مشاعر الالم والحزن الناجمة عن الشعور والإحساس بأن الحياة ذاتها هي عقوبة، لكونها لم تأخذ مداها الحقيقي والمنطقي كحياة.

فالشاعر يقـــــول:

((محكوم بالإعدام أنا

مع وقف التنفيذ

عقوبتي: الحياة)). (البياتي , ١٩٩٥، ص٢٤٦).

فقد كان البياتي منفي، وهذا شيء له مرارته الشديدة، لأن الكلمات هي حريته الأولى والأخيرة، وهي وطنه الذي ينمو به، ويتحد وإياه. فقد كانت حتى الكلمات منفى له، فماذا يتبقى له إذن.

فأنشد يقـــــول:

((وطني المنفى

منفاي الكلمات)). (البياتي , ١٩٩٥، ص٢٤٦).

أحياناً كانت أشواق وحنين البياتي تلعب لعباً قاسياً، بسبب فراق ولده علي، كان يشعر بفناء وضياع العالم، ولعدم وجود الشعر والغناء.

- **الصوفية في شعر البياتي:**

إن الطرق التي أوصلت البياتي إلى (الصوفية) لا تخرج عن طريق الرابط بين الغربة والتصوف، (فهو تحول ذاتي غريب حصل في نفسية البياتي من الرجل العادي إلى الرجل المتصوف الملتزم، وتغير حصل في حياة الشاعر، وهذا التغير الذاتي جعله يشعر بغربة ذاتية وداخلية، في نفسية الشاعر). (جاسم, ١٩٩٠, ص٢٢٥).

ويستفاد من التصوف أمران: الصدق ـ والنقاء. الصدق: بمعنى تطابق الأفكار مع السلوك. فالشخصية: هي الأفكار مجسّدة. وقد اصبح واضحاً ان المتصوفة الحقيقيين هم المثل الأعلى للصدق والنقاء.

فهم ينتمون الى عالمهم الفكري والروحي على النحو الذي يفكك الروابط المادية والمعنوية التي تشدهم الى الواقع فيقودهم الوجد الى الانفصام عن ذلك الواقع والاستغراق في الغيبوبة.(جاسم , ١٩٩٠ , ص٢٢٦).

وقد يبلغ الوجد الصوفي درجة عالية من التحرر من الجسدية، بالانتماء ـ كليةً ـ في اللاهوتية فيصبح المتصوف غير متخوف من أية تضحية وقادراً على تحمل العذاب (كما حصل للحلاج مثلاً) فالمتصوف متطابق مع معتقداته، الى التضحية بالوجود الحياتي لشخصهِ. (جاسم , ١٩٩٠ , ص٢٢٦).

وهو تقيّ ونقيّ لا يمتلك غير تلك المعتقدات، التي تزكيه من الأغراض الدنيوية التي تدخل تحت إطارها كافة الاعتبارات اللاأخلاقية، فكل رجل منهم عاش خالصاً, لأفكاره, ومات من أجلها. فأصبح لكل تفصيل نظري أو سلوكي في حياتهما، طعم خاص، هو طعم الصدق, والنقاء اللذين يعدّان من الخصائص النادرة في حياة المجتمعات العمومية.

فالمتصوفة الحقيقيون يثيرون الاعجاب للمواقف والحالات الانسانية والعلمية والابداعية التي عرفوا بها, الشعراء والفنانون أن يستلهم منها تكوينات المعاني الرائعة لبعض أعمالهم. إن المتصوفة لم ينحنوا أمام الحاكم الجائر، ولم تخدعهم الاغراءات الدنيوية (السلطوية، المالية، الاجتماعية، الخ..) لأنهم وضعوا أنفسهم لقضية الاتحاد الروحي في (عبودية) الحضرة الإلهية، متحررين من أي شكل من أشكال العبودية الدنيوية.

فالقاسم المشترك بين الصوفية والايمان بالقضية ـ من أي شكل من الاشكال ـ نجده في تعريف (الأب الدكتور جيروم غيث) تلخيصاً مهماً. ((فالصوفية هي الاعتقاد بمقدرة العقل الإنساني وقدرته على الاتحاد بالمبدأ الأول للوجود، اتحاداً داخلياً مباشراً يكوّن في آنٍ واحد شكلاً من الوجود الانساني، خارجاً عن الوجود الانساني المألوف، وأسمى منه، وشكلاً من المعرفة خارجاً عن المعرفة العقلية العادية وأسمى منها، اتحادّاً ذروته الانخطاف والوجد الصوفي)). (جاسم , ١٩٩٠ , ص٢٢٦).

فمثل هذا الاتحاد هو احساس المبدعين، والشهداء الذين ينظرون الى قضيتهم نظرة الإيمان المطلق. وان اتحاد الفنان باللوحة والشاعر بالقصيدة هو من حالات الوجد والانخطاف التي تولد مع الولادة الابداعية المنتجة، التي تتحول فيها اللوحة والقصيدة الى ميدان الرؤيا.

وترد في تعريفات التصوف((التي قدَّم رينولد أ. نيكولسون ٧٨ تعريفاً منها) بعض المعاني الدقيقة التي تتصل بطبيعة عمل الشاعر والفنان، اتصالاً متيناً)). (نيكولسون, ١٩٦٩, ص٧٨) .

ففي قول (ذو النون المصري ـ المتوفي سنة ٢٤٥هـ) مثلا: يقول: ((الصوفي هو مَنْ إذا نطق كان كلامه عين حاله)). (نيكولسون, ١٩٦٩, ص٧٨). تعبير عميق عن الصدق، وكذلك نجد على المعنى نفسه في أحاديث المتصوفة عن الحقائق، فالتصوف عند(معروف الكرخي المتوفي سنة ٢٠٠هـ) هو الأخذ بالحقائق. فالصوفي، مثل الشاعر والفنان ممتلئ بالفكر، وذو صفاء نادر، وكما قال (سهل بن عبد الله التستري): ((الصوفي مَنْ

صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع الى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر))(البياتي, ١٩٩٥,ص٢٢٨). وهذا الاستواء يحيلنا الى الطبيعة الاشتراكية الأصيلة التي ترفض التملك.

فالصوفية: ((ألا تملك شيئاً ولا يملكك شيء)) كما أجاب سمنون المحب المتوفي قبل ٢٩٧هـ).وأكد ((أبو الحسن النوري المتوفي ٢٩٥هـ) على المفهوم نفسه في إطار عريض لتحديدات.

التعريف، قائـــــــــلاً:

((الصوفية قوم صفتْ قلوبهم من كدرات البشرية وآفات النفوس وتحرروا من شهواتهم حتى صاروا في الصف الأول والدرجة العليا مع الحق، فلمّا تركوا كل ما سوى الحق صاروا لا مالكين ولا مملوكين))(البياتي, ١٩٩٥,ص ٢٢٨). ولقد التفت المتصوفة الى ان الحرية الحقيقية هي أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء وكانت الحرية أثمن ما في الوجود، بالنسبة إليهم، ولذلك نرى أبا الحسن النوري يقول: ((التصوف الحرية والكرم، وترك التكلف، والسخاء)). (الرسالة القشيرية, القشيري, ٢٠٠٣م). فالمتصوف لا يملك غير حريته، والنور الذي يمتلئ به قلبه. وعلى الصعيد الابداعي ان الفنان الذي يستخرج تكويناته الفنية الجديدة من الواقع بكل جمالاته ونفاياته، يجد في تنقية العطاء الصوفي صورة مُثْلى للتحويل المتسامي المبدع الذي يتحول فيه القبيح الى مليح.

قال الجنيد (المتوفي سنة ٢٩٧هـ):

((الصوفي كالأرض يُطرح عليها كل قبيح، ولا يخرج منها إلا كل مليح)). (الرسالة القشيرية, القشيري, ٢٠٠٣م).

إذن هناك روابط مشتركة بين المتصوفة والشعراء، وهذا من الاسباب التي جعلت كثير من المتصوفة شعراء، كما جعلت من بعض الشعراء متصوفة. وهناك صنف آخر هو صنف المتأثرين بأخلاقيات المتصوفة، وببعض انتفاضاتهم الشعرية الموجزة، وقد يكبر هذا التأثير الى مستويات أعلى تبعاً للحالة الذهنية والنفسية للمبدع وكذلك تبعاً لنوع التأثر الذي تصنعه الظروف العامة للحياة.

وفي شعر البياتي طلعات صوفية مبكرة، ابتدأها في قصيدته (مرثية الى ناظم حكمت) بعنوان (جلال الدين الرومي) الشاعر والمتصوف المعروف، فيقول فيها:

((اصغِ الى الناي يئنُّ راوياً...))

قال جلال الدينْ

النار في الناي

وفي لواعج المحبَّ

والحزينْ

الناي يحكي عن طريقٍ طافحٍ بالدمِ

يحكي مثلما السنين

((شيرينُ)) يا حبيبتي

((شيرين))

دّارَ الزمانُ
احترقتْ فراشتي
تَغَضّن الجبين
وانطفأ المصباح، لكني مع السارين
مع المحبين، مع الباكين
أحمل أكفاني
يئنَّ راوياً
قال جلال الدين:
((مَنْ راح في النوم سلا الماضي))
مع الباكين
((شيرينُ)) يا حبيبتي
((شيرينْ)). (البياتي, ١٩٩٥, ص٤٦٩).

ووقد احتل هذا المقطع مكانهُ في آخر ديوان من المرحلة الأولى، مرحلة الواقعية الاشتراكية والالتزام (البروليتاري) فانه سيرتفع مكانته تدريجياً، حتى يبلغ اكتماله المضموني والتعبيري في تجربة الشاعر فيصبح من أساسياتها. (البياتي, ١٩٩٥, ص٤٦٩).

بمعنى ان الصوفية تصبح ركناً أساسياً في التجربة الشعرية للبياتي على صعيدي المضمون والتعبير: وفي ديوان(سِفْر الفقر والثورة) الصادر في عام ١٩٦٥م يتناول الشاعر موضوع الحلاج وعذاباته، في قصيدة " عذاب الحلاج" التي تبدأ في بداية قصيدته, بعنوان : " المربد" .

فيقول:

((سقطت في العتمة والفراغ
تلطّخت روحك بالأصباغ
شربت من آبارهم
أصابك الدوار
تلوثت يداك بالحبر وبالغبار
وها أنا أراك عاكفاً على رماد هذي النار
صمتُك بيت العنكبوت، تاجك الصُبَّار
يا ناحراً ناقته للجار
طرقتَ بابي بعد أن نام المغني
بعد أن تحطّم القيثار)). (البياتي, ١٩٩٥، ص٩).

نستشعر من هذه القصائد للبياتي في السياق العام لقضية الحلاج ونهايته المأساوية الفاجعة على أن الشاعر يؤطرها بمفاهيمه الخاصة.

وبذكر البياتي ميدان التصوف وأخبار التصوف، يتسع اهتمام البياتي, بالرموز, والأسماء والقصص الدينية، التي كان فيها للمسيحية النصيب الأوفى مستعيناً بالإسلاميات، وبذلك فقد كان للتصوف فضل في هذا الأمر أو الشأن.

فقد كان للبياتي اهتمام في شعره في استخدام الرمز المأخوذ من سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والمذكور في القرآن الكريم، أو في بعض تفاصيل السيرة النبوية. ففي مقطع(المربد) من قصيدة عذاب الحلاج في ديوان (سفر الفقر والثورة) للشاعر عبد الوهاب البياتي، يتقي طالب التصوف خداع الخارج والظاهر، والصمت، فالصمت بمثابة بيت العنكبوت الذي كان له شرف الإسهام في حماية النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه الخليفة سيدنا (ابو بكر الصديق) " رضي الله عنه".

قال البياتي، في مقطع من (المربد):

((وها أنا أراك عاكفاً على رمادِ هذي النار

صمتك ببيت العنكبوت، تاجك الصُبّار)). (البياتي, ١٩٩٥، ص٩) .

وربما كان للتأثير القرآني دوره الملموس في ذكر الشاعر لـ(إرم العماد) ولموت (سليمان) الحكيم واقفاً على عصاه التي نخرها التسوس.

قال البياتي:

((وغرقت عبر الليالي (إرم العماد)

عصا سُليمان على بلاطه الزمان

وهو عليها نائمٌ متكىءٌ يقظان

ينخرها السوس، فيهوي ميتاً رميم)). (البياتي, ١٩٩٥، ص١٠) .

ونجد أن البياتي توسع في الميدان الصوفي الإسلامي فأخذ منه الكثير، ونرى أَنَّ الشاعر استعان بالحديث الوارد في السيرة النبوية (لابن هشام) عن شق صدر النبي الكريم ـ حينما كان صغيراً ـ محولاً الفائدة الى النطاق الشعري:

ولقد ذكر الشيخ محيي الدين بن عربي سبب نظمه ديوان (ترجمان الأشواق) وشرحه قائلاً:

((لما سكنت مكة سنة خمسمائة وثمانٍ وتسعين التقيت بها جماعة من الفضلاء.. ولم أرَ فيهم من فضلهم.. مثل.. أبي شجاع زاهر بن رستم ابن أبي الرجاء الأصفهاني، وكان لهذا الشيخ بنت تقيد النظر وتزين المحاضر.. علمها عملها، عليها سمحة مَلَك، وهمةَ مِلك، فقلدناها من نظمنا في هذا الكتاب أحسن القلائد.. فكل اسم أذكره في هذا الجزء فعنها أكني... ولم أزل فيما نظمته في هذا الجزء على الإيماء الى الواردات الإلهية، والتنازلات الروحية والمناسبات العلوية جرياً على طريقتنا المثلى ـ والله يعصم قارئ الديوان من سبق

خاطره الى ما لا يليق بالنفوس الأبية والهمم العلية المتعلقة بالأمور السماوية ..)). (محي الدين بن عربي, ٢٠٠٠م) .

ولقد أنتجت قصة الشيخ محيي الدين بن عربي، مع " النظام"، فكرة صوفية يرافقها طريق واضح، وهي فكرة تشدان العشق الإلهي، من خلال الجمال الأقدس.

فعلاً، ان هذه الفكرة الصوفية تمخضتْ في التواجد الصوفي لدى بعض المتصوفة في بغداد، وقبل محيي الدين بن عربي، فكانت للصوفية مجالس خاصة يتذاكر ويتدارس فيها الناس.

- **الدلالة الرمزية والروحية للمرأة عند البياتي:**

عائشة ـ رمز وبارز ومهم عند البياتي، يتجاوز مكانته كافة الأسماء والرموز الذَكَريّة.

فعائشة ترد أكثر من عمر الخيام، وحتى من الحلاج نفسه، فكأنها تحمل بُعداً أكثر من الجانب الحسي لوجودها الأنثوي، أي البُعد الروحي، والحدسي الذي قال فيه جلال الدين الرومي:

((المرأة شعاع من النورِ الأقدس

وليست بغرض للرغبة الحسّية

لذا ينبغي أن يُقال إنها خالقة

لأنها ليست.. (مخلوقة!)) . (محي الدين بن عربي, ٢٠٠٠م).

إنَّ اهتمام الصوفية بالأمر الأنثوي داخل الإطار الكوني هو من الأمور البارزة. ((أما التناظر الكوني بين تصور الأنثى والعناصر الطبيعية في الغموض الصوفي فنظر به في المماثلة بين الأمهات الأول والاسطقسات الأربعة التي شغلت الفكر اليوناني في عصر الفلسفة الطبيعية ولهذا التماثل ما يشاكله في تعاليم الهرمسية وأسرارها التي تضمنت نفس هذا التناظر المكون من وحدات متداخلة تجمع بين الذكورة والأنوثة، والنفس والروح، والشمس والقمر في تركيب كوني مرموز)) . (عاطف جودة نصر, ١٩٨٣م). في (بستان عائشة) لا يغادر الشاعر محطاته التقليدية، فلقد ملأها بالأفكار والخيالات والرؤى فأصبحت قادرة على أن تجدد مغيرة الزيّ فقط. إن الاهتمامات والمحاور والرموز الأساسية تبقى متناقلة في قصائد الشاعر فهي قادرة على استيعاب الأشياء الجديدة، ومع ذلك يصح القول بأنها عنوان مرحلة معيَّنة، وهي مرحلة الشاعر التي تحفظ تاريخ هوية الشاعر حقبة طويلة من التاريخ العربي المعاصر. وبستان عائشة هو تكريس لمنطق الاستمرارية المستقرة، استمرارية الشاعر في مساراته الأولى، فعائشة التي وجدناها في دواوين الشاعر، مع (عمر الخيام) و (الخزامي) و(لارا) ومع كل الرموز الأخرى للعالم ، عالم الحقيقة وكبرياء الحرية، تأتينا هذه المرة في ديوان كامل باسمها هو ديوان (بستان عائشة).

فعائشة مثل أختها الأولى عشتار توجه الصدمة الى حبيبها لتبكي عليه مستنجدة بالساحرات لإعادة حبيبها حياً.

بستان عائشة الذي كان عصياً على عرب الشمال، يشارك الشاعر رحلته الأبدية مختفياً عن الأنظار كأنه خيال؟ فيقـــــــول:

((اختفى البستانُ

واختفت الحصونْ

فإذا خبا نجمُ الصباحْ

عادوا إلى " حلبٍ" لينتظروا

ويبكوا ألف عام

فلعلّهم في رحلةٍ أخرى إلى " الخابور

يفتتحونها

ولعلّهم لا يُفلحون)). (البياتي، ١٩٩٠, ص٤٨٦) .

لكن من الصعوبة الحصول على مدن الاحلام, على بستان "عائشة" فان الوصول الى جوهر التاريخ تاريخ الأهل والأجداد, يستحيل ما دامت كل الأسباب التي تؤدي الى انتحار الشاعر قائمة ومتعاقبة. ان انتحار الشاعر عار للذين يحملون في ايديهم مفاتيح المدن, ويحملون بالفتح انهم اصغر من ان يفتحوا مدينة, لأن احلامهم طفح ذاتي, وليست أحلام شعب. لقد قتل الشاعر نفسه, فأصبح شاهد على كل الأشياء الظاهرة واللامرئية, ولأنه هكذا شاهد ابدي, وعينان مفتحتان بلا حدود, فان الشاعر اختار الحلولية نهجاً وأسلوباً, فروح الشاعر تحل في الأمكنة وفي شريط الزمان, هاتفه بالحقيقة وبالحب حيث((لا غالب الا الحب)) . (البياتي، ١٩٩٠, ص٤٨٧) .

- **الخـــــاتمة:**

إن الرحلة مع الشاعر عبد الوهاب البياتي، هي رحلة مع الموقف في الحياة ومع الموقف في الثقافة فالشاعر لا يظهر الأشياء واصفاً لها من الخارج، بل يدخل في عمقها دون أن ينسيه ذلك نفسه, فهو يراقب الأشياء ونفسه معاً, لأنه لم يعرف الانعزالية إلا قليلاً.

لقد جعل الشاعر البياتي "الأمل" و" المعايشة" معادلتين متلازمتين منطلقاً من نظرته التوحيدية للأشياء. فالبياتي في العالم يحيا بالحيوية التي تنَوه عن حضور فعال لا عن ملامسة خارجية.

فوحدة النظرة كانت تقوده إلى التوسع في الرؤية وصولاً إلى رؤاه الخاصة. ورغم اندماج الشاعر ـ في الموقف ـ مع جمهوره كبيرة من أصحاب القضية الذين يتشارك وإياهم في وحدة الموقف, فان البياتي ظل محتفظاً بنبرته التي ظلت متميزة يكاد القارئ يدركها بدون اعلامه باسم الشاعر.

إن وحدة النظرة والموقف ارتسمت في وحدة المعاني الذاتية والعامة التي نظمت مجاميع من شعره وكأنها ملفات خاصة, لكل ملف قضيته وموضوعاته.

لقد أشار الشاعر التركي الكبير ناظم حكمت إلى المزايا الواضحة في شعر عبد الوهاب البياتي من هذه الزاوية

,

لقد كان تجلي الهوية العراقية في شعر البياتي واضحاً, والبياتي كان يريد بروز الهوية العراقية والوطنية في شعره هو المحافظة على الهوية التي تعتبر شرف الانسان وكرامته, وضياع الهوية معنى ضياع تراث وحضارة امة بأكملها, وقد اصر على الحفاظ على الهوية العراقية والتمسك بها, وخصوصاً بعد عام" ٢٠٠٣" وسقوط الدولة العراقية من قبل الأمريكان, وتدخل الدول الإقليمية في الشأن العراقية, مما زاد الخوف في نفس الشاعر من ضياعها. كما دعي الشاعر بالحفاظ على الهوية العربية وخصوصاً الهوية الفلسطينية, بعد الاحتلال الإسرائيلي لها, وتشريد أهلها خارج فلسطين, فقد حث المواطنين على الحفاظ على الهوية, التي تعتبر رمز الأمة. فقد كان البياتي واضحاً في قصائده وهو يدعو للحفاظ على حضارة وتراث هذه الامة العريقة التي مزقها الاستعمار وعملائه, والتي تعتبر رمز الامة والوطن, فالحفاظ على الهوية هو الحفاظ على شرف وكرامة الأمة.

References

1. **Muhammadiah, Ahmad Sa'id.** *Abdul Wahhab Al-Bayati as a Poet: Wounding and Wounded*. Dar Al-Awda, Beirut, 2009.
2. **Al-Bayati, Abdul Wahhab.** *The Complete Poetic Works*. Arab Institute for Research and Publishing, Beirut, 1995.
3. **Jassim, Aziz Al-Sayyid.** *Commitment and Sufism in the Poetry of Abdul Wahhab Al-Bayati*. General Cultural Affairs House, 1st ed., Baghdad, 1995.
4. **Nasr, Atef Jouda.** *The Poetic Symbol Among the Sufis*. Dar Al-Andalus for Printing and Publishing, 3rd ed., 1983.
5. **Nicholson, Reynold A.** *Studies in Islamic Mysticism*. Translated by Abul-Ela Affifi, Committee for Authoring and Translation, 1st ed., 1969.
6. **Qaysumah, Mansour.** *Abdul Wahhab Al-Bayati: Fifty Love Poems*. Dar Sahar for Publishing, 1st ed., 1997.
7. **Al-Qushayri, Abul-Qasim Abdul-Karim Hawazin.** *Al-Risala Al-Qushayriyya (The Qushayri Epistle)*. Dar Al-Kitab Al-Arabi, 2003.
8. **Ibn Arabi, Muhyiddin.** *Dhakha'ir Al-A'laq: Commentary on Turjuman Al-Ashwaq (The Interpreter of Desires)*. Translated and edited by Khalil Awad Al-Mansour, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, 1st ed., 2000.